التأويـــل الهيغلـــي للتـــاريخ وللمنظومـــة الفكريـــة للغـــرب

تمهيد

لن نعجب إذن، من خلال ما تقدم إذا ما اكتشفنا، بأن المدرسة الفلسفية، الإغريقية المشرب في التأويل، ستتلون تماماً بالمنظور التأويلي للمدرسة الألمانية التي مثلها **إيمانويل كانط** (**Emmanuel Kant**) (**1724 – 1804 م**) بكتابـــه: "**مقدمات لكل فلسفة ميتافيزيقا مستقبلية تتوخى أن تصير علماً**" (***Prolegomena zu einer jeden künftigen Metaphysik***) [1] سنة **1783** كمقدمة لكتبـــه النقدية الثلاثة:

1) "**نقد العقل الخالص**" (***Kritik der reinen Vernunft***)،

2) و"**نقد العقل العملي**" (**Kritik der praktischen Vernunft**)،

3) و"**نقد الحاكمة**" (***Kritik der Urteilskraft***)

وما كتب حولها بعده، تلامذته المباشرين وغير المباشرين، وخصوصاً خلفـــه المباشـــر: اللاهـــوتي **جورج فريدريش هيغل** (**Georg Wilhem Friedrich Hegel,**) (**1770 – 1831**) ،

الذي جمع ثقافة واسعة بتاريخ الفلسفة والدول والأديان ليقيم مذهبه الفلسفي، مستوعبا ومتجاوزاً لكل من الكوزي في "**الجمع بين النقيضين**"، وكانط في نقدياته العقلية الثلاث.

ذلك، أنه مقابل **منطق أرسطو** الذي تأسس على **عدم التناقض**، فسيطور هيغل جدلية تـــسلم بحقيقـــة أساسية هي **تناقض الفكر!**.

---

[1] ترك بعد وفاته مشروع مذكرات يحاول الإجابة عن سؤال طرحته أكاديمية برلين سنة **1788** فحواه: {ما هي مناحي التقدم الحقيقية للميتافيزيقا في ألمانيا منذ زمن ليبنيتز (**Leibniz**) وولف (**Wolf**).}؟.

وأهم عنصر في هذا المنطق الجديد، الذي ليس له من مسمى المنطق سوى الاسم: "منطق الجدل" (dialectic) الذي يعتمد:

النفي أو التناقض، الذي يدفع كل موجود!!! إلى تخطي وجوده المباشر!!!، ليصل به إلى أنماط جديدة تحقق جوهره!!!، من خلال عملية تكشف عن الإمكانيات التي يحويها لتسليط الأضواء عليها!!!!.

قلت:

كلام كبير والميت فأر!

فهو يتوخى بهذا المقاربة أن ينتفي التناقض بين "التصور" و"الواقع"، على عكس المتبادر من التجربة، بل وعكس ما قامت عليه الفلسفة التقليدية لدى الآباء المؤسسين الإغريق من أفلاطونيين وأرسطيين، ليؤلف التصور عنده نفس جوهر الأشياء، فيتحرر من الواقع الذي يعتبر شيئاً غريباً عن الذات العارفة!!!!!.

فالجوهر عنده يتحول إلى فكرة!!!: "الفكرة"، التي يُصبح فيها للتصور و"اقعية كاملة"، تجمع بين الذاتية والموضوعية. حتى أن هذا النشاط نفسه، يصبح جزءاً من حركة الفكرة التي تحقق في ذاتها وحدة الذات والموضوع في عملية تصور كل واقع على أنه جوهرها الخاص.

وبهذه الفذلكة الكلامية، سيردّ **هيغل** كل نشاط إلى العقل، بل وحتى الوجود نفسه.

فالوجود عنده يتجسد في جوهره روحاً عارياً من كل واقع مباشر وقد تسامى إلى تصورات، وغدت الفكرة تجمع في ذاتها "الفكرة" و"الوجود" معاً، أي: "الذات " و"الموضوع".

وهو الواقع الوحيد عنده!.

وعندما حاول أن يردّ كل الوقائع والأشياء إلى تصورات، اكتشف أن الطبيعة ليست لها قابلية لتحقيق التصورات، وهو ما جعله يقول، فراراً من هذا المأزق النظري، بأن الطبيعة تمثل **انحرافاً عن الفكرة!!!!!**، بحيث يمكن أن تعد **نفياً للفكرة ونقيضاً لها**.

وفسر عدم التطابق بين الفكرة والواقع إلى اغتراب الطبيعة عن العقل!!!، و بكون الطبيعة تخضع للصدفة!!! وتستسلم للضرورة العمياء!!.

وما دام هيغل يتبنى القول بأن كل "واقعي" هو "عقلي"، وكل "عقلي" هو "واقعي" في جوهره قبل كل شيء، فسيزعم بأن الطبيعة، وإن بدت مختلفة عن الفكر وغريبة عنه، إلا أنها تظل في جوهرها متوافقة مع العقل الذي يستطيع أن يستغرقها مع المدة.

لكن، بدل أن يحاول أن يستخلص من الطبيعة ذاتها النظام العام الذي يحكمها، وجدناه، وعلى عكس منطق الأشياء، يحرص كل الحرص على أن يضع لها نظاماً عقلياً يستنبط منه سمات الطبيعة!.

فالطبيعة عنده موجودة قبلياً في العقل، بمعزل عنها وعن كل عاقل، ولا يسعها بالتالي سوى أن تتطابق، أو على الأقل تتماهى، مع التصور الافتراضي الاعتباطي الذي كونه لها في العقل!، إلى درجة انه لم يكن ير في العلوم التجريبية، سوى كونها تزودنا بالمواد الخام التي تصوغها وتشكلها **العلوم التأملية!!!!!.**

فالمشكلة بالنسبة لهيغل لم تكمن في حقيقة الوقائع، بل في تصوره لها.

وتماشياً مع هذه النتيجة، سيقول بأن الخطأ القاتل الذي وقعت فيه **الفلسفة العقلية!!!!!** ومنذ أرسطو كمن في كونها فصلت بين "الفكر" و"الوجود"، ليجمع هو بينهما في شعار:

الفكر هو الوجود،

بمعنى أن عالم الواقع لا يختلف عن الفكر!!!!.

وعنده أن تعميق هذا التصور للوجود يتطلب خطوتين:

أولاها: التمييز في الأشياء بين ما هو **جوهري** وما هو **عرضي**، وبين ما هو **موجود بالفعل** يملأ الواقع، وما هو **ظاهري وعارض** لا يلبث أن يزول،

ثانيها: تحديد التصور الدقيق لهذا الواقع، وذلك بتمثل الطريقة التي يتشكل بها الواقع في العالم وفي االوعي.

وتعتبر الخطوة الثانية، **الجدلية الصحيحة** التي تجعل التصور مرتبطاً بالجزئي والفردي ارتباطه بالكلي، منتقلاً من الأفراد إلى الجزئيات إلى الكليات صعداً، ثم عكساً من: الكليات إلى الجزئيات وإلى الإفراد.

الغريب هو أن يمثل هذا النوع من التخرص الفضفاض الحر، الذي لا أثرة فيه من علم، ولا نور على منطقه، قمة الفكر عند المتفلسفة الأوروبيين اللاحقين عنه، قبل أن يأتي الماركسيون، ثم التحليليون، وأخيراً الما-بعد حداثيون، لينقضوا عليه صرح فكره ويقوضوه، ويفكوا كل هذا الغزل!.

وسيؤلف، جرياً مع العرف السائد عند أغلب الفلاسفة، حال ما فعل المعلم الأول أرسطو نفسه، كتاباً في المنطق أطلق عليه: "**علم المنطق**"! (*Wissenschaft der Logik*) صدرت مجلداته الثلاثة تباعاً سنني: 1812، و1913 و 1816.

المؤلف، الذي سيشغل المنظرين الماركسيين لفترة، وإن لم يكن ليعده أحد ممن يشتغل بالمنطق في عصرنا، مؤلفاً ذا علاقة أو وشيجة بعنوانه!

ويمكن اعتبار فلسفة هيغل إغلاق لدورة تاريخية من التفلسف التخرصي الأوروبي، وبداية لأخرى مع ما يصاحبها ويواكبها من تأويلات بديلة هي أبعد ما تكون نجعة عن العقل والتعقل والعقلانية!.

وسيقرأ كتاب "علم المنطق" هذا ويمتح من بعض الأفكار الواردة فيه كل من كارل هاينريش ماركس (**Karl Heinrich Marx**) (1818 – 1883) أثناء وخلال تأليفه لكتابه: "رأس المال"، والثوري

والمنظر الروسي فلاديميـــر إيليـــتش لينـــين (Lenine ; Vladimir Ilitch Oulianov) (1827 – 1924)

لينصح الأخير بدوره كل منظر لاحق للماركسية، على قراءة الكتاب بإمعان!.

وبما أن العرف في الفلسفة التخرصية الغربية جرى أيضاً، على أن يشرع كل متفلسف باني لمذهب فلسفي قديم/جديد، بتهديم أفكار من سبقوه قبل أن يشرع في بناء صرحه النظري، فمعاول هدم هيغل رزكز على القول بأن كل طيف الإشكاليات الفلسفة، التي أثيرت في القديم منذ سقراط، ومروراً بتلميذه أفلاطون (427- 348 ق.م)

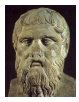 ، وتلميذ الأخير أرسطو (384 – 322 ق.م) 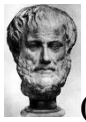 ، والنهضويون اللاحقون، الذين أعادوا اكتشاف هذه التراثية من جديد[2]: روني ديكارت (René Descartes) (1596 -1650) ، وباروخ سبينوزا (Baruch de Spinoza) (1632 – 1677) ، وليبنيتز (Wilhelm Leibnitz Gottfried (1646 – 1716)، وديفيد هيوم (David Hume) (1711 – 1776) ، وإيمانويل كانط (Emmanuel Kant) (1724 – 1804) وتلامذته.. والتي استمرت لأكثر من أربعة وعشرين قرناً في البحث عن المعرفة المطلقة!!!!!، قد أعطيت أجوبة كافية لها وبمقاربات ونجاحات مختلفة ومتفاوتة، ليصدح فوق الأسطح:

بأنه قد آن الأوان لإغلاق هذا الموضوع برمته، والشروع في العرض المنهجي للفلسفة كعلم!!!!!!.

وهو اعتراف ضمني من طرفه بكون الفلسفة في زمنه، لم تعد لها تلك المكانة القديمة التي كانت لهـــا أيام الإغريق، حيث كانوا يعتبرونها: "**أم العلوم**"، اللقب الذي ظلت تتدثر به ومنذ أرسطو، قبل أن تنفصل عنها العلوم الصلبة تباعاً مثل الفيزياء، والكيمياء، وعلوم الأرض،...، لتكون كل منها فسحتها ومجالهـــا المـــستقل الخاص بها، ويميزها عن موضوعات "الفلسفة" التي بقيت تحت المظلة القديمة، كونها منتجة، وليست سفسطة محضة، حال ما آلت إليه الفلسفة في عصر هيغل.

---

[2] من خلال ما طعمهم به المتفلسفة الغائبون الحاضرون المحسوبين على الإسلام، وخصوصاً: الرازي وابن رشد الحفيد.

وهو هاجس لم يغب عن عمانويل كانت نفسه في نقدياته الثلاثة، وسكن هيغل بدوره، بغيــة إعطــاء الفلسفة الغربية المحتضرة انطلاقة جديدة.

وقد نجح هيغل في التأسيس لهذه الدورة الجديدة من التخرص المتعالم الأوروبي، إلى درجة أن صــار من شبه المستحيل العثور **على فلسفة تخرصية معاصرة أوروبية تدورخارج إطار التفكير الفلسفي الألماني عموماً والهيجلي منها خاصة**!، حتى أن الفلسفة القديمة ذاتها، سيعاد قراءتها من خلال نظــارات الفلاسفة الألمان وهيغل خاصة!.

وسنصادف من جديد مفهوماً ل: "**التأويل**"، يحاول أن ينحو منحاً جديداً في نزعه، وإن لم يقطع بمــرة مع ماضيه.

3.1.2.1) التأويلية المسيحية الهيغلية واللاهوت البروتستانتي النظري

يكتشف المتتبع لمسار هيغل التعليمي أن "**التأويلية المسيحية**" كونت جزءاً لا يتجــزأ مــن تكوينــه العقلي والعقدي. فالمعروف عنه أنه ألف في مرحلة الشباب وسنه لما يتجاوز بعد خمسا وعشرين سنة كتــاب: "**حياة يسوع**" ("Life of Jesus")، كما كتب مسودة حملت عنوان: "**موضوعية الديانة المسيحية**" ("The Positivity of the Christian Religion".) ثم أتبعهما بعد ثلاث سنوات بكتاب: "**روح المسيحية**".

وهي موضوعات لا تخطئك النبأ، بكون هيغل مشبع بهذه التراثيــة اللاهوتيــة، قبــل أن يؤلــف فــي موضةعات أخرى، لعل أهمها: "**ظاهريات الروح**" (*Phänomenologie des Geistes*) المنشور خلال الفتــرة (1806 – 1807)، التي سيتولد عنها الفكر الظاهراتي لاحقاً، ليتلو ذلك بكتاب في السياسة حمل عنوان: "**تبــد من فلسفة الحق**" (*Elements of the Philosophy of Right*) سنة **1821**.

وسيستعير هيغل من أفلاطون أسطورة الكهف في عروج الروحِ خلال مستويات من الوجــود لبنــاء نموذجه لرقي الوعي الإنساني.

ففي أسطورة الكهفِ يصف أفلاطون تقدّم أو معراج الروح كرحلة تربوية:

فالروحَ كانت في أول أمرها سجينة وتمتلك فقط الحد الأدنى مِنْ المعْرفة الضرورية. والوجود عبارة عن عالم جهنمي للوهم المطلق؛ ثمّ تشرع الروح في التحرّر، من خلال معراج شاق ومضن على طريق وعر المسالك لتخرج في النهاية من الكهفِ. وهذا الصعود لم يكن سهلاً، حيث ينتاب الروحُ فزع شديد أثناء العروج. لكن في النهاية، تَصل الروحَ إلى بوابة النفق لتنعم بضوءِ شمس العالم السماوي المفهوم.

لكن، بينما يتصور أفلاطون الروحِ في عروج مستمر من خلال سلسلة لا متناهية مِنْ مستويات الوجود، فإن هيغل، نوع عليه، وتصور رقي وعي الإنسانية من خلال سلسلة تاريخية مِنْ المستويات.

وهكذا تحول الرقي الأفلاطوني للروحِ إلى تطور تأريخي لوعي الإنسانيةِ عند هيغل.

وهي استعارة، وإن ظهرت متعالمة على يدي الفيلسوفين، إلا أنها قمة في الابتذال والتسطيح، خصوصاً إذا ما علمنا بأن المسلمين الأول سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم عن الروح فجاءهم الجواب السماوي، في الآية 85 من سورة الإسراء:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء: ٨٥

بأن علمهم يومها، قليل، دون أن يقطع عليهم الأمل في تطوره ونموه في أعقابهم.

وهو فارق نوعي، ومنهجي وبرزخي في أن بين التخرص الفلسفي الشاطح، كما تطور في الحدس الفلسفي الغربي، والعلم العملي الذي يدعو القرآن إلى اكتسابه من خلال التدبر في الكون وفي الخلق، على ما توضح الآيات التالية:

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ الغاشية: ١٧ - ٢٠

وبموته سنة 1831 انقسم طلبته والمعجبين بفلسفته إلى يمين شائخ ويسار شاب[3].

ويعتبر هيغل المنظر للدولة المطلقة، وللطاعة القهرية التي لها على أفرادها، حيث يقول[4]:

---

[3] وقد نشرت أعماله الكاملة في 21 مجلداً ما بين سني (1832 – 1845) من طرف "**Freunde des Verewigten**"

[4] ***Philosophy of Right*, "The State", s. 258**

إنّ الدولة عقلانيةُ جداً!!! مادامت تمتلك الوعي الذاتيِ الخاص للإرادة الجوهرية، متى رُفِعَ الوعي إلى وعي بشموليته. وتمثل هذه الوحدةِ الكبيرةِ نهايةُ مُطلقةُ غير متأثّرةُ في نفسها، حيث تبلغ الحرية حقِّها الأسمى. ولهذه النهايةِ النهائية من جهة أخرى حقٌ أعلى على الفـرد، الذي من واجبه الأكبر أن يصْبَحُ عضواً في الدولة.

وللخلفية اللاهوتية لهيغل، فسنجد أن "**التأويل**" سيمثل فسحة من فسح الممارسة، سواء لدى الهيغليين الأول لسنوات 1840، أو لدى خُلفائهم المعاصرين الذين يبحثون في "**العلاقة التأويلية**" بين تثليث من نمط: **قضية/نقيض، القضية/التركيب، والتثليث المسيحي!.**

وقد تكونت النواة الأولى لليمين الهيغيلي من تلامذة مباشرين لهيغل خلفوه في تدريس أفكاره أكاديمياً، لعل أبرزهم اثنان وهما:

1) **جورج أندرياس جابلر** (Georg Andreas Gabler) (1786 – 1853) الذي خلف هيغل أستاذاً في جامعة برلين سنة 1835، والذي سيهتم بالأساس بشرح فلسفة هيغل وخصوصاً كتاب: "**ظاهريات الروح**"، وهو كتاب صعب القراءة، ومستعص بشكل ملفت على الفهم[5]!

[5] من مؤلفاته:

- *Die Propädeutik der Philosophie*. Erlangen: Palm, 1827.
- *De verae philosophiae erga religionem Christianam pietate*. Berlin 1836.
- *Die Hegelsche Philosophie : Beiträge zu ihrer richtigeren Beurtheilung und Würdigung*. Berlin: Duncker, 1843.
- *Die Hegelsche Philosophie. Das Absolute und die Lösung der Grundfrage aller Philosophie bei Hegel im Unterschiede von der Fassung anderer Philosophen*. Berlin: Duncker, 1843.

2) وهرمـان فـردريش فلهلـم هنـريكس (Hermann Friedrich Wilhelm Heinrichs) (1794 – 1861) صاحب كتـاب "الدين في صلته الوثيقة بالعلم" الـذي أصدره سنة 1822.

وقد كتب هيغل مقدمة لهذا الكتاب سخر فيها من نظرية مناوئه اللدود اللاهـوتي المـسيحي إرنـست شليرماخر (Friedrich Daniel Ernst Schleiermacher) (1768 – 1834) التـي تقول بأن: "الدين عاطفة وليس عقلاً" ليقول في حقه مبكتاً[6]:

{لـو كـان الأمـر كـذلك لكـان الكلـب اتقـى المـسيحيين!، لأن الكلـب أشـد الحيوانـات عاطفة وإخلاصاً لسيده، ولو كانت المسألة مسألة إخلاص وتعلق بالسيد لكان الكلب أولى الناس بالقداسة المسيحية!..}

وسوف يتبع هنريكس هذا الكتاب بكتاب آخر نشره سـنة 1825 تحـت عنـوان: "محاضرات عن فوست لغوتة".

والكتاب يعبر عن العلاقة الحميمية، التي ربطت بين الهيغلية وشاعر ألمانيا المفوه غوتـة (Johann Wolfgang von **Goethe**) (1749 – 1832) المعاصر لهيغل، إلى درجة أن أصبح من عقائد الهيغليـة الراسخة، الجمع بين فلسفة هيغل وشعر غوتة، حيث وجدنا الهيغليين يحاولون تفسير شـعر غوتـة بواسـطة فلسفة هيغل والعكس!.

---

[6] إمام عبد الفتاح إمام: "الموسوعة الفلسفية العربية": الهيغلية، ص. 1430، ط. أولى 1988، معهد الإنماء العربي. وأورده أيضاً أندرو دول في:

Andrew Dole, The Case of the Disappearing Discourse: Schleiermacher's Fourth Speech and the Field of Religious Studies, The Journal of Religion, 88:1–28, January 2008, The University of Chicago.

فإذا ما علمنا بأن الشاعر غوتة، أشعر من تغنى باللغة الألمانية **بالرسول محمد ﷺ**، أدركنا بـــأن هيغل لم يكن ليخفى عليه جانب من جوانب الحضارة الإسلامية في كل أبعادها الدينيـــة والأدبيـــة والاجتماعيـــة والفلسفية،...سواء أعلن عن ذلك أم تكتم!.

وقد كان لهيغل أيضاً، إلى جانب هؤلاء التلاميذ المباشرين، علاقة مميزة مع بعـــض أصـــدقائه الـــذين سيتأثرون بأفكاره مثل:

1) **كـارل داوب** (Karl Daub) (1765 – 1836) مؤســـس "**اللاهوت البروتستانتي النظري**" (Protestant speculative theology)، المتأثر بفلسفات كـــل مـــن كانـــت، وهيغل، وشيلينغ (Friedrich von Schelling) (1775 – 1854) ، والذي نـــشر كشكولاص من الكتبً من شـــاكلة: "**يهوذا الإسخريوطي**" (1816 – 1818)، و"**بحث في اللوغوس**"، و"**اللاهوت الدغماتي في العصر الحاضر**" سنة 1833 م يعيد بهـــا قراءة التاريخ الديني المسيحي من خلال فلسفة هيغل!.

2) و**فيليب كونراد مارهينكة** (Philipp Conrad Marheinke) (1780 – 1846) في كتابه: "**علم العقائد**" (Dogmatics) سنة 1827 الذي شجع الكثير من اللاهـــوتيين علـــى دراسة هيغل،

3) و**كارل فردريش غوشل** (Karl Friedrich Göschel) في كتابـــه: "**أقوال مأثورة حول الجهل والعلم والمطلق وعلاقتهما بالديانة المسيحية**"

{***Aphorismen überNichtwissen und Absolutes Wissen im Verhältnis zur Christlichen Glaubenserkenntnis*** **(Berlin, 1829)}**

والثلاثة يحسبون على اليمين الهيغلي.

وظهر في الجيل التالي لاهوتيون هيغليون من شاكلة:

1) **فرديـنـان كريـستيان بـاور** (Ferdinand Christian Baur) **(1792 – 1860)**، صاحب كتاب: "**أبحاث نقدية حول الأناجيل الشرعية**"، حاول فيه تطبيــق مبــادئ هيغل على أبحاثه في العقيدة وفي نشوء العهد الجديد،

2) **وديفيـد فريـدريش شـتراوس** (David Friedrich Strauss) **(1808 – 1874)** ، مؤلف كتاب: "**حياة يسوع: فحص نقدي**" المنشور ما بــين ســنتي 1835 – 1836، الذي أحدث ضجة يومها. وهو يكاد يقتفي في كتابه هذا، خطى **الإمام ابن حزم** الأندلسي في كتابه: "**الفصال في الملل والنحل**"[7]، ليتبعه سنتي 1841 – 1842 بكتاب: "**نظرية الإيمان المسيحي وصراعها مع العلم الحديث**".

وظهرت كذلك كتب نقدية أكثر شمولاً عند:

3) **برونـو بـاور** (Bruno Baur) **(1809 – 1882)** من شاكلة: "**نقد حياة يسوع لشتراوس**" (1835 – 1836)، و"**عرض نقدي لدين العهد القديم**" ســنة 1838، و"**نقد الوقائع الموجودة في إنجيل القديس يوحنـا**" ســنة 1840، و"**نقد إجماليات التاريخ الإنجيلي**" ســنة 1841، و"**المسيحية مهتوكة الستر**" سنة 1843، و"**نقد الأناجيل وتاريخ منابعها**" سني 1850 – 1851، و"**نقد رسائل القديس بولص**" سنة 1852,

وتولد عن الهيغلية أيضاً تيار يساري مثله:

[7] أنظر كتابنا: المدرسة ابن حزم الأوروبية في النقدية التاريخية للكتب المقدسة: رسالة في التسامح"

لودفيغ فيورباخ (Ludwig Feuerbach) (1804 - 1892) ، الذي بدأ بانتقاد شيخه في كتاب: "**مساهمة في نقد هيغل**" سنة 1839 وكتاب: "**ماهية المسيحية**" سنة 1841، ليشكل مع **برونو باور** "اليسار الهيغلي" الذي سينتسب إليه كل من **كارل ماكس** و**فريدريك انجلز** (Friedrich Engels) (1820 – 1895) وغيرهما ممن تخرجوا من جامعة برلين خاصة واشتهروا بلقب: **الهيغليين الشباب**.

وستنتشر بعد ذلك المدرسة الهيغلية لتعم كل البلاد الأوروبية وأمريكا وتظل مسيطرة على مناحي التفكير الفلسفي الغربي لأكثر من القرن ونصف القرن.

وقد ظهر إلى جانب هؤلاء، مخضرمون يقرأون العلوم قراءة هيغلية، كما سيفعل الألمانيان:

1) **جورج موسمان** (George Mussman) بالنسبة لما سيسمّى ب: "**علم النفس**"،

2) و**يوهانس موللر** (Johannes Muller) (1801 – 1858) بالنسبة لعلم "**الفزيولوجيا**" في كتابه: "**المجمل في علم الفزيولوجيا الإنساني**" (Handbook of Human Physiology) سنة **1837**،

3) والإيطالي: **بنيدتو كروتشة** (Benedetto Croce) (1866 – 1952) ، وصديقه:

4) الإنجليزي: **كولينوود** (Robin George Collingwood)(1889 - 1943) بالنسبة لقراءة "التاريخ"[8]، وغيرهم.

3.2) المنتقدون لفلسفة هيغل

3.2.1) نقدية أرثر شوبنهاور 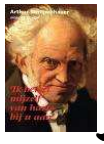

يعتبر آرثر شوبنهاور (Arthur Schopenhauer) (1788 – 1850) نفسه الوارث الشرعي لكل من أفلاطون وكانت، زيادة على تماهيه مع الديانات الهندية. وهو يصنف ضمن المتقلسفة المثاليين الملحدين، ولا يترك فرصة سانحة من أجل النيل من أمثال هيغل، وفيخت (Fichte)، وشلينغ (Schelling) ومن يحذو حذوهم الفلسفي.

وقد خص هيغل وفلسفته بالنقد اللاذع، لكون فلسفة الأخير تحوي بين طياتها نزعة تاريخانية في منظوره، حتى أنه لم يتردد في وصف فلسفة هيغل ب "الظلامية" وبكونها "فلسفة مزيّفة رجعية".

لقد كتب يقول عن فلسفة هيغل[9]:

. . . قطعة هائلة مِنْ الحيرةِ التي سَتُزوّدُ الأجيال القادمة بموضوع لا ينضبِ للضحك في عصرنا، بأنّها فلسفة مزيّفة تَشْلُّ كُلّ السلطات العقلية، وتخْنُقُ كُلّ تفْكير حقيقي، ومن خلال الإستعمال الأكثر شناعة للغةِ، وَاضعاً مكانِها، أجوّف، وأكثر الأفكار غير ذات معنى، وكما يؤكدهُ نجاحِها، الثرثرية المدهشة. . .

3.2.2) نقدية نيتشة صاحب فلسفة النّص

إذا كانت الهيغلية مثلت تياراً عاما في الفلسفة الغربية المعاصرة، فإن فريدريك نيتشة (Friedrich Nietzsche) (1844 – 1900) سيبرز خارجاً لوحده، بعيداً عن هذا المنحى، لأنه لم يبن فلسفته على العقل

[8] نشر كتاب: "فكرة التاريخ" *The Idea of History* (1946)،

[9] آرثر شوبنهاور "حول أصول الأخلاق" (On the Basis of Morality)

والعقلانية، كما فعل هيغل ومن جاءوا بعده، بل بناها هو على حقل خاص، وهو "النص" ذاته الحامل لكل كلام وكل مقول.

ولا عجب، فشهادته للدكتوراه كانت في علم اللغة المقارن (الفيلولوجيا) التي سيتخذها تكأة لتفلسفه.

يقول نيتشة[10]:

{إن التصورات المختلفة ل "الفلسفة"، ليست اعتباطية، وهي لا تتطور على حدة، بمعزل عن بعضها البعض، ولكن بارتباط ووشاجة بينها. فالبرغم من فُجائية ظهورها في تاريخ الفكر، فهي تظل منتمية إلى نفس النسق....وهو ما يتجلى في الوثوقية، التي تجعل فلاسفة ذوي مشارب شتى ومتنوعة، يحتلون أماكنهم، الواحد تلو الآخر، بداخل نمط معين ومحدد للفلسفات الممكنة.

هناك شيء ما سحري وغير مرئي، يفرض عليهم دوماً، قطع نفس المسارات المتشابهة دون كلل...وكلما وُجد نسب ألسُني، كان محتماً، من منطلق فلسفة نحوية مشتركة، أن تحكِم نفس الدوال النحوية قبضتها وتوجيهاتها، من أجل تطوير وسيرورة مماثلتين للأنساق الفلسفية، بينما يظهر وكأن الطريق غدا مقفلاً، لبعض الاحتمالات الأخرى لتفسير الكون}

وسيهاجم سقراط وفلسفته واصفاً إياه ب "المنحط النموذجي".

أما عن "الحقيقة" التي يبحث عنها الفلاسفة فلا تعدو أن تكون[11]:

{مجموعة حية من الاستعارات والتشبيهات والمجازات، وهي بإيجاز، حاصل علاقات إنسانية تم تحويرها وتجميلها شعرياً وبلاغياً حتى غدت، مع طول الاستعمال، تبدو لشعب من الشعوب دقيقة وذات مشروعية وسلطة مُكرهَة، إلا أن الحقائق هي عبارة عن أوهام نسينا أنها كذلك، واستعارات استخدمت كثيراً حتى فقدت قوتها، إنها قطع من النقد فُقد الختم المرسوم عليها، وأخذ يُنظر إليها لا على أنها قطع نقدية بل مجرد مادة معدنية}

---

[10] أنظر: نيتشة: بغض فيما وراء الخير والشر" في: Nietzsche, "Par delà le bien er le mal, La Généalogie de la morale, trad. De Cornélius Helm, Isabelle Hildenbrand et Jean Gratien, 1971. § 29.

[11] أنظر: نيتشة: "كتاب الفيلسوف" في: (Nietzsche, "Le Livre du Philosophe", p. 183, trad. Angèle Kremer-Marietti, Aubier-Flammarion, 1969, Paris.

وقد وضع **نيتشة** بهذين النصين، أصبعه على مربط الفرس في الفلسفة الغربية كلها، من جهة كونها ثرثرية متعالمة، تتمشدق بالبحث عن الحقائق فقط من خلال اللجوء إلى لعبة اللغة المخثرة بالاستعارات والتشبيهات والمجازات!.

وقد لفت نيتشة الانتباه بهذا النص إلى لطخة مُعَمّاه في النسق الهيغلي كله، حيث ظل الأخير يعمل بمنهج استيعاب ثنائياته المتناقضات وتجاوزهما بفذلكات لغوية، لا تغير من الواقع من قطمير.

ومن هذه المغالطات اعتبار السلب كمقابل بسيط لموجَب، يجب النطق به، ثم الجمع بينهما في حدود معقولية اللغة. فالأولوية هنا لعملية: "التذكر" عند هيغل، بينما الأمر بالنسبة لنيتشة، لن يعدو أن يكون مجرد "قابلية نشطة للنسيان"!، مع تخريف حر من عنيدياته هو، كما يتطلب الموقف والمقام!.

3.2.3) نقدية النفساني كارل يونغ

لا شك أن النقد الأكثر قسوة تجاه هيغل سيصدر مِنْ المحلّل النفساني المشهورِ كارل يونج (Carl Jung)، الذي قال بأن هيغل يعاني من مرضٍ عقليٍ ومن عدم التوازن النفسي. فقد كَتبَ يقول[12]:

إن فلسفة كالتي يتبناها هيغل هي نوع من الإيحاء الذاتي للخلفيةِ الروحية، وبشكل فلسفي دعوى متهافتة. وهي تمثل نفسياً إحتلالاً بواسطة العقل الباطنِ. إن استعمالاته الخاصة لُلغةُ مترفعة وغريبةُ، تؤيد وجهةِ النظر هذه -- فهو يذكرنا بلغةِ مصاب بجنون العظمةَ الفصامي، الذي يستعملُ الكلماتَ السَاحِرةَ الرائعةَ لتَحويل المتعالي إلى شكلٍ ذاتي، ولإعْطاء التفاهات سحر الطرافةِ، أَو يَتجاوز المحلات العامةَ كالباحث عن حكمةِ. وتحذلق كهذا هو علامة على الضعفِ، والحماقة، وقلة المادةِ.

[12] كارل جي . يونغ (*Carl G. Jung*)، "حول طبيعةِ الروحِ"، *On the Nature of the Psyche, 1928*

– هذا، زيادة عن نقاد آخــرين مثــل الفيلــسوف الــدانماركي **سورن كيركيجارد** (**Søren Aabye Kierkegaard**) (1813 1855) والفيلسوف الرياضياتي البريطــاني **برتراند راسل** (**Bertrand Russell**)(1872 - 1970) ، وفيلسوف العلوم المخضرم **كارل بوبر** (1902-1994).

إنتهى ويليه الجزء 16: من النص التوراتي إلى النص الأدبي:التأويلات البنيوية والتفكيكية.